معرض

يجمع المعرض، المُقام في «غاليري المرخيّة» بالدوحة حتى السابع من تشرين الثاني/ نوفمبر المُقبل، أعمال أربعة وخمسين فنّاناً من ثمانية عشر بلداً عربياً، تستلهم أفكارُهم وخاماتهُم التشكيلية مسيرةَ الشعب الفلسطيني في نضاله المستمرّ ضدّ الاحتلال الإسرائيلي، في استجابة فنّية للحظة الإبادة الصهيونية المتواصلة في غزّة منذ قرابة عام

السماء فوق غزّة متخيَّلة

بريدٌ من فنّاني 18 بلداً عربياً

من المعرض (حسين بيضون/ العربي الجديد)

الدوحة ـ **محمد هديب**

إذا قُورن حجم معرض «السماء فوق غزّة متخيَّلة» بالمعارض الجماعية التي أقامها «غاليري المرخية»، فهو الأضخم في تاريخ الغاليري منذ إنشائه عام 2008، إلى الدرجة التي دفعت القائمين عليه إلى استحداث مساحة إضافية في طابقي الغاليري بمقرّه الرئيسي ضمن مباني «مطافئ قطر - مقرّ الفنّانين» في الدوحة. شهورٌ قليلة استغرقتها التدابير اللوجستية لجمع أعمال أربعة وخمسين من الفنّانين والفنّانات العرب، في المعرض الذي افتتح مساء الثلاثاء الماضي ويستمرّ حتى السابع من تشرين الثاني/ نوفمبر المُقبل، غير أنّ فكرة إطلاق هذه التظاهرة، التي تابعتها «العربي الجديد» منذ حروفها الأولى، هي الفصل الذي يستحقّ أيضاً التنويه به. فقد كانت استجابة الفنّانين فوريةً حالما عرفوا أنّ ثمّة معرضاً جماعياً سيُقام تحيةً إلى غزّة، وسيُخصَّص جزءٌ من عائداته لدعمها بالتعاون مع «الهلال الأحمر القطري»، كما أوضح لـ«العربي الجديد» منسّق المعارض في «غاليري المرخية» أنس قطيط.

والفنّانون القطريّون المشاركون في المعرض هم: يوسف أحمد وسلمان المالك وابتسام الصفّار وهنادي درويش، بالإضافة إلى حمزة بونوّة من الجزائر، وعباس يوسف وعبد الجبار الغضبان ولبنى الأمين من البحرين، وعبد الوهاب عبد المحسن ومحمد عبلة ومصطفى رحمة ورندة فكري ووليد عبيد من مصر، وعلاء بشير وفيصل لعيبي صاحي وميسلون فرج وسيروان باران من العراق، وبدر محاسنة وحيان معاني وهيلدا الحياري ومي قدورة ومحمد الجالوس من الأردن، وعبد الرضا باقر وأميرة بهبهاني وثريا البقصمي من الكويت، وأناشار بصبوص وبشير محمد وجوزيف الحوراني وكاتيا طرابلسي من لبنان. يُضاف إلى هؤلاء محمد بن لامين من ليبيا، وحسان بورقية وصفاء الرواس من المغرب، وحسن مير وحسين عبيد ومحمد الصايغ من عُمان، ونبيل عناني وسليمان منصور وخالد حوراني ورانية عمودي وتيسير بركات ووديع خالد وسعاد نصر مخول من فلسطين، وفهد النعيمة وزمان جاسم من السعودية، ومحمد عمر خليل من السودان، ويوسف عبدلكي وعصام درويش ومنير الشعراني وناصر حسين من سورية، وباكر بن فرح وسامي بن عامر من تونس، وعبد الرحيم سالم وفاطمة لوتاه من الإمارات، وحكيم العاقل من اليمن.

بريد إلى غزّة

سيطرت الاستجابة للحظة المأساوية على المنجَز التشكيلي من اللوحات والأعمال التركيبية الضخم المعروض في براحة مشيرب بعنوان «صدى البراءة المفقودة».

تعرية

وضمن الأعمال التي نُفِّذت إبان حرب الإبادة، واحدٌ للفنّان التونسي سامي بن عامر بعنوان «تعرية»، صادف أن ذهب بها مذهب القطري يوسف أحمد، إذ تظهر غزّة من الأعلى في جغرافيا تعرّضت للتعرية التامّة، وبمسحةٍ مُخيفة ليس لها أيّ علاقة بعوامل الحتّ والتعرية الطبيعية. تبدو غزّة كما هي مكاناً مقصوفاً ومجرَّفاً وبلا ملامح، ومن بعيد، وللمفارقة، فإنّ تصوير المشهد كأنّه بعينٍ من الفضاء، هو ذاته ما يُعاينه الناس على الأرض هما وصلتنا على ألسنتهم، فهُم في بعض الأوقات فقدوا قدرتهم على التعرّف إلى الأماكن لغياب كلّ المعالم الدالّة عليها.

بينما اختارت الفنّانة اللبنانية كاتيا طرابلسي ترجمة أشدّ المقولات سطوعاً بعد السابع من أكتوبر، وهي أن غزّة جعلت العالم الراهن وتاريخه ومستقبله واضحاً. بهذا الوضوح جاء عملُها النحتي من موادّ مستخدماً تقنيته المعروفة منذ سنوات من سعف النخيل والورق المصنوع يدوياً.

كذلك الحال مع المنحوتة البرونزية للفنّان اللبناني بشير محمّد بعنوان «نصر وسلام» تعبير مباشر عن علامة النصر، وهي الإسهام الثاني للفنّان ضمن أعماله الحديثة عن غزّة خلال العام الجاري، الذي يواكب عمله التركيبي الضخم المعروض في براحة مشيرب بعنوان «صدى البراءة المفقودة».

تعرية

وضمن الأعمال التي نُفِّذت إبان حرب الإبادة، واحدٌ للفنّان التونسي سامي بن عامر بعنوان «تعرية»، صادف أن ذهب بها مذهب القطري يوسف أحمد، إذ تظهر غزّة من الأعلى في جغرافيا تعرّضت للتعرية التامّة، وبمسحةٍ مُخيفة ليس لها أيّ علاقة بعوامل الحتّ والتعرية الطبيعية. تبدو غزّة كما هي مكاناً مقصوفاً ومجرَّفاً وبلا ملامح، ومن بعيد، وللمفارقة، فإنّ تصوير المشهد كأنّه بعينٍ من الفضاء، هو ذاته ما يُعاينه الناس على الأرض هما وصلتنا على ألسنتهم، فهُم في بعض الأوقات فقدوا قدرتهم على التعرّف إلى الأماكن لغياب كلّ المعالم الدالّة عليها.

بينما اختارت الفنّانة اللبنانية كاتيا طرابلسي ترجمة أشدّ المقولات سطوعاً بعد السابع من أكتوبر، وهي أن غزّة جعلت العالم الراهن وتاريخه ومستقبله واضحاً. بهذا الوضوح جاء عملُها النحتي من موادّ النحتية؛ إذ إنّ جزءاً بارزاً من هذه الأعمال أُنتج في الفترة ما بين نهاية العام الماضي والعام الجاري، بما يواكب حرب الإبادة منذ بدئها على غزّة. لكنّ المناخ برمّته أراد إرسال بريدهم إلى هذا المكان المعزول المحاط بـ«الأعداء والأمل»، كما كتب محمود درويش عام 1971 في نصّه المنشور بجريدة الأهرام المصرية، وفيه قال: «لا بريد إلى غزّة»، فكان الفنّانون يختارون من رصيدهم، سواء أكان سابقاً أم جديداً، ليؤكّدوا بأيديهم أنّ قيم النضال والجمال ليست عزلاء ما دامت فكرة العدالة نابضةً وإنسانية وعابرة للغات.

أنجز الفنّان الليبي محمد بن لامين عمله النحتي «الإجلاء بقوّة النار» في الأشهر الأولى من العام الحالي، حيث أبرزُ مشهد وصلنا من غزّة هو الموت على دروب التشريد من مكان إلى آخر. ولو غرض هذا العمل من دون عنوان، لكان كافياً لشرح ذاته وبالتلقّي ذاته في أيّ مكان من العالم.

فما على مُشاهد هذا النحتّ الأفقي من الإجلاء الذي نعاينه إلّا أن يضعه الآن في سياقه الغزّي، بوصف غزّة مكان الإبادة غير المكترَث بأنّها جريمة في بثّ مباشر. وقد جعل الفنّان من درب المشرّدين مشغولاً بعبوات رصاص فارغة تُشكّل قوّة النار في الظهور، وتُشكّل أجساد الضحايا الخالية من التفاصيل، تفصيلاً واحداً مرعباً، وهو الحركة التي بالرصاص تنتفض الأجساد فتعبّر عن موتها أو انتظار موتها.

إلى أين؟

في هذا الدرب ذاته تظهر لوحة «إلى أين؟» للفنّانة الإماراتية فاطمة لوتاه، ولكنّ الصورة من مقطع جانبي للأمّ وأمامها ابنتها لا تفصلهما مسافة، وتقطعان طريقاً إلى حيث مجهول في عيونهما ومعلوم بالملمتر من أجهزة المراقبة ونيران الاحتلال. وفي العام الماضي، رسم الفنّان الفلسطيني نبيل عناني لوحة «غزّة» مليئة بالتفاصيل الملوّنة بألوان حارّة وترابية، وممتدّة على أفق النظر في جغرافيا غزّة المنبسطة من الخراب والموت المكفّن بالأبيض إلى توليفة في البعيد مضادّة في ترتيبها، حتى لكأنّها بستان ملوّن في كتاب مصوّر للأطفال.

وتحت هذه المواجهة الفنّية للعُنف الدامي وفارق القوّة الفادح بين الضحايا والقتلة، اختار الفنّان القطري يوسف أحمد تكثيف الكارثة من خلال تجريدها وجعل غزّة مشهداً مكرّراً في اثني عشر مُستطيلاً مندمجاً في تشكيل بصري واحد، ومُحترقاً كأنّ اللوحة لقطة من الفضاء تتحوّل فيها غزّة إلى نقاط وحُفر صغيرة محترقة، مواجهة فنّية للعنف الدامي وفارق القوّة بين الضحايا والقتلة

ليست قيَم النضال والجمال عزلاء ما دامت فكرة العدالة نابضة

مشهديةٌ أُخرى

أصدر «غاليري المرخية» كتيّبا للمعرض ضمّ ثلاث مقالات للناقد السوري سامي داوود، والفنّان العراقي عمار داوود، والكاتب السوري اسماعيل الرفاعي الذي كتب: «إذا كان المشهد الدامي هو الذي يُحتِّم الآن على هذه الأرض، وإذا كان أهلنا في فلسطين يرزحون في التيّه واللاجئة تحت آلة القتل الهمجيّة، فلا بدّ لنا ان نحاول إقامة مشاهدية أُخرى تندّد وتدين كلّ ما يتعرّض له أهلنا في غزّة، وفي كامل الأرض المحتلّة».

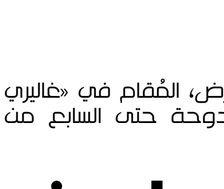

تصويب

حماية

ياسم النبريص

أتعلّم دوماً، لأنّي محظوظ. أتعلّم ياسمي من الآخرين، وما من أبٍ أو مرجع إلّا في الأيديولوجيا، ولأنّ الكتابة مثل اللغة، لا أكفّ عن اللعب بما أكتب.

كلّ نهار ألقي كُرةً بين الخيال والواقع. أنا الليل فللنوم فقط، كي أصحو على شقشقة الفجر ممتلئاً. الفضول والمتعة غايتاي في الحياة، حتى لو تمخّض الخارجُ عن أوقات مضطربة. العب مع الحرف لأنّ اللّعب اتصالٌ أعلى بشيء، له سمت الميتافيزيقا. أشكال لا حصر لها تردّني حتى وأنا نائم، من المفردات، والجُمل، ومقاطع الشعر الموزون. إنّما نادراً ما أصطادُها عندما أستيقظ.

الحمد لله أنّي كاتب، بعد أن كنتُ عاملاً في كلّ شيء طوال عُمر ولّى. الحمد لله أنّي أعرف أنّ الدنيا لا تساوي جناح بعوضة. وأنّ السفر بريد العالم، وأنّ الكاتب سفير نفسه والناس، إنْ أحسن بصيرته وأسلوبه، وأنّ الفنون كلّها سياسة، شاء من شاء وأبى من أبى. وقبل هذا وذاك، أنّي أكتب كما أعيش: على ما قُسِم وعلى باب الله.

إنّ المرء لَمَا يزل كما ربّته أمُّه، رجُل عواطف، لأنّ رجُل العقل، والغرب نموذجاً، قاسٍ وقاتل.

إنّني لشدّ ما أبكي حين أرى أفلاماً ومسلسلات.

إنّ الله بعد رحلة إلحاد طويلة، عُمرها نصف قرن، صار يعني لي الحماية في الغربة، وكلّ هذا الانقلاب حصل خلال إبادة جزء حميم من بقايا بلدي اسمه: قطاع غزّة.

(شاعر فلسطيني مقيم في بلجيكا)

إطلالة

إلياس خوري... ازدواج الأدب والسياسة

عباس بيضون

كان رحيل إلياس خوري مباغتاً رغم معرفة الجميع بأنّه يغالب المرض منذ عام ونصف. ليس رحيله مباغتاً بقدر ما كان مدوّياً. لا بدّ أنّ حدثاً كهذا سيُلعلع في بلدٍ رغم أنّ أزماته المتلاحقة، الاقتصادية والسياسية، لا تترك له فسحةً لوقفة هادئة. الثقافة في وضعٍ كهذا تتراجع إلى هامش جانبي.

رحيل شخص تنعقد عنده الثقافة والسياسة وله كلمة مسموعة في المجالين، لقّد استمرّ في مطالعاته السياسية على فيسبوك قبيل رحيله بأسبوع. لذا فإنّ ما أثاره رحيلُه ليس بعيداً عن السياسة. مع ذلك، فإنّ الموقع السياسي له يتلقّى دعماً من قيمته الأدبية. إذ لا ننسى أنّ الروائي الذي كانه ليس باهتاً. إنّه بالعكس لامعٌ ولافت وذو حضور حقيقي. إذ إنّ الرجُل، الذي لم يفرّق في أيّ مرحلة بين السياسة والأدب، لم يكن بأي حال مبشّراً سياسياً ولا داعياً. كان بالعكس يعرف جيّداً كيف يتناول السياسة كواقع يحتاج إلى صياغة وإعادة خلق واستحضار لا يعفّ عن التفاوتات والتناقضات، بل يتعمّد استخراجها والبناء منها وعليها، في عملٍ غرضه الأوّل هو الرواية. لذا لن نجد في 18 روايةً التي تركها أيّ مديحٍ أو حماسة أو دعاوى من أيّ نوع. الرواية في عمل إلياس خوري تتابع مبدأها الأساسي: ملاحقة الانهيار والتهافت الواقعيّين، في قراءة لا يمنع أن تكون سوداء وسفلية ومتضاربة، وبالتالي معمّقة وفاضحة ونقدية. مع ذلك، فإنّ هذا الاستحضار السياسي، أو البناء على الموضوع السياسي، كانا ميزةَ الروائي الذي بلغ في سياسويته الأدبية كشوفاً ومباشرة، لا يمنعان من أن يعكفا على التفصيل والموضوعات القريبة بمادّتها وتكوينها ومسارها.

يمكننا، مع ذلك، القول إنّ جيل إلياس خوري لم يكن، في معظمه، بعيداً عن المرجع السياسي، بل يسعنا في مراجعة هذا الجيل أن نجزم بأنّه بنى في الأساس على المرحلة، وبالتالي على مضاعفاتها السياسية والثقافية. بل يسعنا أن نشابر على هذا التقييم ونستطرد فيه لدرجة الزعم أنّ الرواية اللبنانية لهذا الجيل تصدر بشكل أوّلي عن الحرب الأهلية، وأنّ هذه الحرب، بوقائعها وتفاعلاتها ودعاواها وما تبعها وتلاها، في تماسٍ حميم معها، ذلك كان فاتحة الرواية اللبنانية يومها، بل يمكننا الجزم أنّ روح هذه الرواية وتخييلها ورؤاها تصدر بالدرجة الأولى عن هذه الحرب؛ إذ إنّنا إذا سمّينا روائيّي هذا الجيل، نجد أنفسنا في المرحلة، نجدها فوراً في الحرب الأهلية وتداعياتها.

لم يكن فريداً في ذلك، وإذا كنّا وجدنا له ميزةً، فإنّها كانت في حميمية صلةِ أدبه بشخصه. كان إلياس خوري نشطاً سياسياً، سواء من جيله كانوا ذوي التماعات ومواقف سياسية بالتأكيد، لكنّهم لم يكونوا سياسويّين لهذه الدرجة. لم يكونوا يقبلون بأن يقدّموا في رواياتهم عروضاً سياسية. الأحرى أنّهم لم يستحسنوا أن يرجعوا إلى يوميات الشارع ونزاعاته.

إلياس خوري الذي لم يتجنّب شخصه السياسي، لم يكن بهذا البعد أو التجنّب. كانت نزاعات الحرب الأهلية موضوعاً أثيراً لديه، النزاعات والمشاكل بأسمائها ولغتها، بل بشطحاتها وآفاتها. كان أميناً لذلك لدرجة أنّه وهو الذي كان قريباً جدّاً من «فتح» والمقاومة الفلسطينية، لم يمانع أن يكتب في رواية آفات المقاومة وأخطائها، الأمر الذي سبّب غضباً منه جعله ملاحقاً.

إنما ينبغي، فوق ذلك، أن نقول إنّه بقي فلسطينيّ العمق، بحيث أنّ فلسطين التاريخ وفلسطين الداخل كانتا موضوع أكثر كُتبه شهرةً. لا نستغرب من أن تكون «باب الشمس» الرواية التي طغى اسمها على المراثي التي تناولته، رغم أنّني لا أجدها الأهمّ روائياً، وقد تكون عادية في مؤلّفه، لكن إبرازها بهذه الطريقة يُعيدنا إلى ازدواج السياسي والأدبي في شخص إلياس خوري ونصّه.

رغم ألم إلياس خوري الذي تكلّم عنه في واحدٍ من مقالاته، بقي يتابع مقاله إلى الأسبوع الذي سبق رحيله، ذلك يجعلنا نفهم أنّه الكاتب أوّلاً، والكاتب إلى الأخير، والكاتب كلّ لحظة.

(شاعر وروائي من لبنان)

خاماتٌ تشكيلية متعدّدة تجمعها لحظة إنسانية واحدة

أكثر من فكرة لمؤازرة فلسطين

اجيالٌ عديدة من الفنّانين تحضر في المعرض برغبة واضحة في مؤازرة المظلومين، وإنْ لم تتخط اعمالُ بعضهم مباشرةً في تجسيد اللحظة الكارثية

احدى زائرات المعرض امام لوحة «امرأة في رداء اسود» للفنّانة رحاب القطري سلمان المالك (حسين بيضون/ العربي الجديد)

في لوحة «مخيّم الشاطئ» للفنّان الفلسطيني تيسير بركات، حصانٌ في مقطع عرضي غُلوي ملوّن كأنّه «بالبتة» ألوان قديمة الاستعمال، وفي الأفق بيوت تكاد تكون وجوهاً بشرية. وهذه أبواب الفنّان الأردني محمد الجالوس المرسومة عام 2018، هي أبواب تيسير بركات، لكنّها عند الجالوس ما زالت كما تُركت عام النكبة، 1948، وهي ذاتها أبوابنا ووجوهنا في «النكبة المستمرّة» التي اجترح عنوانها الروائي اللبناني إلياس خوري الذي رحل عن عالمنا الأسبوع الماضي، في كتابه الأخير.

وقبل الجالوس بعام، رسم الفنّان الفلسطيني سليمان منصور لوحة «أمّ الشهيد»، وهي لو كانت من دون عنوان واسم فإنها تشير فوراً إلى صاحبها؛ أحد أبرز الأسماء التشكيلية الفلسطينية منذ مطلع السبعينيات، مثلما تتصادى مع أعمال رفاقه الفنّانين الذين يرسمون بشراً وشجراً وحجراً من أرواحهم الفردية والجماعية. لوحة منصور تضمّ ثلاث نساء، واحدة منهنّ أمّ الشهيد، وكلّهن فلسطينيات بتقاسمن الخسارة، تدلّ ثيابهن عليهن، وتدلّنا على شهيد وقع من اللوحة.

شارك كلّ الفنّانين برغبة واضحة مفادُها مؤازرة المظلومين في وقفة تعبيرية، لم يكن بعضها منخرطاً مباشرةً في تجسيد اللحظة الكارثية، لا بل إنّ المروحة الواسعة من جماليات الحياة فعل مقاومة، يستوعب الملمَح الثوري الضروري واللحظة التي تقدّم التأمّل على الضرورة. وبذا جاءت لوحة الفنّان المصري محمد عبلة «من وحي الإمام» (2024)، المرسومة تشكيلاً حروفياً بمواد مختلطة على قماش، غير أنّها لا تُريد أن تُوحي إلّا بجدار غرافيتي رسمَه الفنّان نيابة عن العابرين. هذا هو محمد عبلة الذي اتّخذ موقفاً سياسياً مباشراً دون تردّد، حين أعاد إلى ألمانيا في آذار/ مارس الماضي «وسام غوته»، احتجاجاً على موقف حكومتها من العُدوان في غزّة.

كما أنّ لوحة «الدخيل» (2014)، للفنّان العراقي سيروان باران تُعيدنا دائماً إلى عنوان واحد من معارضه الشهيرة «الجمال القاسي»، وهو العنوان الذي يبدو أقدم في جوهره من عنوان المعرض المُقام سنة 2020، إذ يصلح للدلالة على ما يريد أن يرسمه الفنّان من هذا العالم القاسي والذي تسيل على جوانبه الألوان. في اللوحة أسرة أو مجموعة متألفة وكلبها مقع على الأرض، بينما كلبٌ ضارٍ يدخل بشراسة إطار اللوحة.

ومن اليمن أرسل حكيم العاقل لوحة «عاطفة جيّاشة» (2010)، لامرأة وطفل، وهي تنتمي إلى تجربته المعروفة منذ سنوات، والتي انجزَ فيها عشرات اللوحات بعين الطائر. وجاءت لوحة سلمان المالك «امرأة في رداء أسود» (2021)، واحدةً من أفضل معالجاته لفكرته الأثيرة عن المرأة ذات الرداء التقليدي في قطر، حين اكتفى بدرجات الأسود والأبيض لتكون لها السيادة، مع طيف بالغ الخُفوت للّون الصحراوي.

محمد...

فعاليات

تنطلق، بعد غد الثلاثاء، في «قاعة السينماتيك» بمدينة بجاية الجزائرية، فعاليات الدورة 19 من **لقاءات بجاية السينمائية** وتستمرّ حتى 29 الجاري. تعرض الدورة قرابة 40 فيلماً من الجزائر وخارجها، وتُخصّص برنامجاً للتضامن مع الشعب الفلسطيني، يتضمّن عرض 11 فيلماً قصيراً حول غزّة أُنتجت خلال العام الحالي.

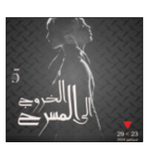

تنطلق، غداً الاثنين، في «مدينة الثقافة» بتونس العاصمة، فعاليات الدورة الخامسة من تظاهرة **الخروج إلى المسرح**، وتستمرّ حتى التاسع والعشرين من الشهر الجاري. يتضمّن البرنامج سبع مسرحيات تونسية من إنتاج 2023 و2024، تُعرض في «مسرح الجهات» و«قاعة المبدعين الشبّان» عند السابعة والنصف من مساء كلّ يوم.

ضمن برنامج «كتارا للفضاء والعلوم 2024»، يُفتتح، عند العاشرة من صباح بعد غد، في «قبّة الثريا الفلكية» بـ«حي كتارا» في الدوحة، معرض **فنّ الفضاء الرقمي**، ويتواصل حتى 18 تشرين الأوّل/ اكتوبر المقبل. يضمّ المعرض أعمالاً فنّية مطبوعة أصلية من «وكالة الفضاء الاميركية» وفنّ الهولوغرافيا والفنّ التشكيلي.

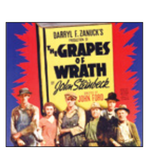

ضمن فعالية «فيلم ورواية»، تُعرض «مكتبة عبد الحميد شومان» في فروعها بجبل عمّان والأشرفية والمقابلين والزرقاء، عند الرابعة من بعد ظُهر اليوم، فيلم **عناقيد الغضب** (1940) للمُخرج الاميركي **جون فورد** عن رواية مواطنه **جون شتاينبك** بالعنوان نفسه. يلي العرضَ نقاشٌ حول انساف الصورة السينمائية مع النصّ الروائي.